السنة الثالثة: دراسات لغوية

المحاضرة الثانية

رواية "الحمار الذهبي" للكيوس أبوليوس

أول رواية في تاريخ الإنسانية

تأتي أهمية هذه الرواية" **الحمار الذهبي**" من أنها أول نص روائي في تاريخ الإنسانية وصلنا كاملا.

تم ترجمتها إلى العربية من قبل علي فهمي خشيم، عن الإنجليزية سنة 1980 بعنوان تحولات الجحش الذهبي، وترجمها أبو العيد دودو عن الفرنسية، بعنوان الحمار الذهبي سنة 2001، كما ترجمها عن اللاتينية الجلاصي سنة 2000، بعنوان الحمار الذهبي أو التحولات.

-التعريف بالكاتب:

ولد لوكيوس أبوليوس أو أبولاي، أو أفولاي الأمازيغي في أوائل القرن الثاني حوالي 125م، بمداور بولاية سوق أهراس بالجزائر، ينتمي إلى قبيلة جدالة البربري وتوفي حوالي 170م، عاش في فترة الحكم الروماني، أين كانت مداوروش"مداور" ازهي مستعمرات روما وبها ثاني أكبر جامعة بعد جامعة روما.

وكان يعتز بأصله الإفريقي وهويته الأمازيغية، يقول: لم يتملكني في يوم من الأيام أي نوع من الشعور بالخجل من هويتي ومن وطني.

نشأ لوكيوس أبوليوس في أسرة أرستقراطية في مدينة مداوروش. و كان أبوه أحد الحاكمين في أوائل القرن الثاني، وكان أبوليوس أشهر كتاب وشعراء ذلك العهد، درس بقرطاج،

واليونان (أثينا) وروما وآسيا الصغرى، كان أبوليوس كاتبا مرموقا ومسرحيا وشاعرا كبيرا في عصره .

ألف روايته في أحد عشر جزء، كما له ديوان "الأزاهير"، وهو عبارة عن مقتطفات شعرية، اتهم بممارسة السحر، فدافع عن نفسه وألف في الموضوع كتابا عنوانه "في السحر".

ملخص الرواية:

يتجه بطل القصة الشاب لوكيوس، إلى مدينة هيباتا بمقاطعة تيساليا، فيلتقي في طريقه بمسافرين، سمع من أحدهما حكاية عن الأعمال السحرية حركت فضوله. وعندما وصل مدينة هيباتا، نزل ضيفا على رجل يدعى ميلو، وكانت زوجته ساحرة تتحول إلى أشكال مختلفة إذا دهنت نفسها بأنواع من المراهم، فزادت رغبته في معرفة أسرار السحر الغامضة والتطفل على عالم الساحرة بامفيلا زوجة ميلو وأخذ يتقرب من فوتيس خادمة بامفيلا لتمكنه من رؤية سيدتها وهي تمارس أعمالها السحرية، وقد مكنته من رغبته. فشاهدا بامفيلا تأخذ مرهما من إحدى العلب وتدهن به جسمها، فتحولت إلى بومة وطارت مبتعدة عن بيتها، رغب لوكيوس أن يعيش تجربة التحول، فألح على الخادمة أن تستجيب لرغبته، وأحضرت له المرهم لكنها أخطأت في تناول العلبة المناسبة، فكانت نتيجة ذلك أن تحول لوكيوس بعد دهن جسده به إلى حمار لكن بعقل إنسان.

وعدته الخادمة بأنها ستحضر له في الصباح باقة من الورد ليأكل منها ويستعيد بذلك شكله الإنساني، ثم قادته إلى الإسطبل ليقضي فيه ليلته مع حصانه وحمار مضيفه ميلو، لكن اللصوص هاجموا البيت في الليلة نفسها، فحملوا المسروقات عليه، وقادوه تحت الضربات الموجعة إلى مغارتهم .

وخلال هذه المدة التي كان فيها حمارا خاض العديد من التجارب كما لاقى صنوف العذاب والمعاناة مع كل مالك ينتقل إليه: رئيس الإسطبل، ومجموعة الرهبان، والطحان والبستاني، والجندي، والأخوين الطاهيين فسيدهما....

في الأخير أنقذ نفسه بالهرب وتضرع إلى ملكة السماء أن ترجعه أنسانا وعندما نام ظهرت له الإلهة ايزيس في حلمه، وأخبرته أنها استجابت لدعائه. وما إن وصل الموكب العظيم

لتمجيد الآلهة حتى لمح لوكيوس الكاهن وهو يحمل إكليلا من الورد، فأسرع إليه وأكل منه، فاستعاد في الحين هيأته البشرية، وأصبح بعدها خادما وفيا وراهبا متعبدا مخلصا لمعبد الآلهة، وكان يتردد في روما على زيارة معبدها، وترقى من راهب إلى كاهن.

كان يطّلع في مغامراته التي ذاق فيها أنواعا من العذاب على الواقع المتعفن وحقيقة البشر ونفاقهم وانحطاطهم أخلاقيا.

خصائص الرواية:

– العجائبية: إن رواية الحمار الذهبي ذات طابع ملحمي وعجائبي، يتداخل فيها الواقع والخيال والسحر، فهي تعتمد على فكرة المسخ وتحول الإنسان إلى حيوان، ثم عودته إلى حالته الأولى.

– التضمين: ويعرف بالتوالد القصصي إذ يتتخلل الرواية قصص جزئية متداخلة، تزيدها تشويقا فتحضر مثلا قصة "بسيشيه وكوبيدون"، التي اتخذت رمزا للحب الإلهي والارتقاء بالنفس إلى مرتبة الخلود.

–نص نقدي ساخر: فهي قراءة نقدية ساخرة للمجتمع الروماني، تنتقد العقل وتسفه سلوكيات السحرة والقضاء الروماني الذين اتهموا "لوكيوس" بالسحر والشعوذة، ومن هنا فالرواية إعلان لانهيار الإمبراطورية الرومانية وتفككها وفسادها أخلاقيا، وهي تجسد انحطاط الإنسان ونزوله إلى مرتبة الحيوان حينما يستسلم لغرائزه وأهوائه وانفعالاته الضالة، ويكمن النجاة في التوبة والدعاء باسم الآلهة.

المراجع :

–حنداين محمد: مدخل لكتابة تاريخ الأدب الأمازيغي بالمغرب، تاسكلان –تمازيغت– مدخل للأدب الأمازيغي، منشورات الجمعية المغربي للبحث والتبادل الأمازيغي ، 1992

– شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969.

– أبو العيد دودو: الجزائر الحمار الذهبي، الدار العربية للعلوم، 2001.

-محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، 1989.